

علماء الدين ورسالتهم العظيمة

المكان: كرمانشاه

الزمان: 1390/7/20 ش. 1432/11/14 هـ. 2011/10/12 م.

المناسبة: زيارة الإمام الخامنئي لحافظة كرمانشاه

الحضور: علماء الدين الشيعة والسنة بكرمانشاه في اليوم الأول لزيارته

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد وعلى آله الأطيبين
الأطهرين وصحبه المنتجبين، سيما بقية الله في الأرضين.

قال الله الحكيم في كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم.. الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله
حسيباً (1).

من اللقاءات الحبية والممتعة في الزيارات والأسفار اللقاء بالعلماء المحترمين والفضلاء الأعزاء
العاملين على تقديم الخدمات في كل أنحاء البلاد وفي المحافظات المختلفة، واللقاء بالطلبة الشباب
البراعم الحديثة في مجال التربية والتعليم الدينيين. واللييلة أيضاً أنتم موجودون هنا والحمد لله..
هذا الحشد الكثيف من الإخوة والأخوات الطلبة والفضلاء والعلماء المحترمين في الحافظة من سنة
وشيعه. وهذه فرصة طيبة ومغتنة بالنسبة لي وذات زاد معنوي.

أذكر عدة نقاط، ولكن قبل أذكرها أري لزاماً أن أذكر بخير وتكريم العالم الجليل والأخلاقي
والزاهد الذي قضى عمره في هذه الحافظة بأمر من المرحوم آية الله البروجردي، وتلقى أجر
جهوده بالشهادة.. شهيد الحراب الجليل المرحوم آية الله أشرفي الذي سمعت أن هذه الأيام

تصادف ذكرى استشهاده. لقد وفقت للقاءه مراراً في بيته في كرمانشاه، وكنا نجلس معاً ونتحدث. وكنت قد لقيته في جلسات واجتماعات أخرى. في جلسة أئمة الجمعة في المحافظة في إسلام آباد، حيث كان المرحوم الشهيد صدوقي قد جاء من يزد، وكان هناك آخرون. عقدوا اجتماع أئمة الجمعة في المحافظة تحت القصف وشاركنا معهم. لقيت هذا الرجل الجليل عن قرب في عدة جلسات واجتماعات. وللحق والإنصاف فقد كان مصداقاً للعالم العامل. لم يكن لسانه فقط يبلغ، إنما عمله أيضاً كان يبلغ ويدعو. تواضعه وزهده وعدم اكتراثه لكثير من الأمور الظاهرية من خصائصه وصفاته.. كان رجلاً كبيراً. وقد آجره الله تعالى، ففي آخر عمر طويل نسبياً جعل الله تعالى الموت الذي لا مفرّ منه شهادةً بالنسبة له. قلنا مراراً إن الشهادة موت تجاري.. موت فيه ربح كبير.. إنه نذر شيء زائل.. فهذا الشيء زائل لا محالة.. «كل نفس ذائقة الموت»(2). إذا وفق الإنسان - ربنا نحن أيضاً مشتاقون لمثل هذا التوفيق - وباع هذا الحدث الذي لا مفرّ منه لله لكان في ذلك ربح ومنفعة عظيمة. «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم»(3). الله يشتري الأنفس.. الله هو المشتري. هذا توفيق وفوز كبير، وقد نال هذا الرجل هذا التوفيق والفوز.

وفي هذا المحافظة، فإن صديقنا القديم العزيز المرحوم الحاج بهاء الدين محمدي عراقي كان أيضاً من هؤلاء السعداء المحظوظين الذين نالوا وسام الشهادة. كان المرحوم الحاج بهاء من تلامذة الإمام الخميني الجيدين ومن أصدقائنا في قم. رحمة الله على هذين الشهيدين.

ونذكر أيضاً العالم الأخلاقي العطوف المتواضع المحبوب الصميمي المرحوم الحاج مجتبي حاج آخوند الذي كان بدوره من أصدقائنا القدامى في مدرسة الحجّية في قم.. كان مؤمناً نقياً صالحاً صادقاً.. رحمة الله عليه.

ونذكر أيضاً المرحوم السيد نجومى (رضوان الله عليه)، العالم الفاضل الدارس المجتهد، والذي كان في الوقت نفسه قمة في الفن وفناناً حقيقياً. ذهبت لمتزله في إحدى زياراتي لكرمانشاه بعد الثورة وقبل فترة رئاسة الجمهورية، وشاهدت أعماله الفنية عن قرب. وبعد رحيل الإمام الخميني بعث لي أحد أعماله الفنية. طلبت منه أن يكتب لي الحديث الشريف: «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره»(4)، ليكون أمام عيني، ولا ننسى واجب تعليم الذات. وكتب هذا الحديث بخط جميل جداً فجوّمته وأطّرتّه وجعلته لوحه وهو في الغرفة أمام عيني. «من

نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره». إذا تحقق هذا التعليم كان تعليم الغير سهلاً. هذه هي مشكلتنا.

أعزائي، إخوتي، أبنائي، أيها الشباب، أيها الطلبة من البنات والبنين، إذا أردتم أن تفوح عطوركم في الأجواء كباقة ورد، وإذا أردتم أن تنهمر المعنوية منكم كالينبوع، فيرتوي المنعطفون من دون إجبار وإكراه ويهرعون إليه، فهذا هو السبيل: «فليبدأ بتعليم نفسه».

هذه الآية الشريفة التي تليت: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (5). جعلت الخشية من صفات العلماء. للعلماء صفات وخصوصيات عديدة لكن الله اختار صفة الخشية. بعد ذكر الآيات الإلهية في الجبال والسهول والصحراء والحدائق كما في الآيات، يقول: «إنما يخشى الله من عباده العلماء». خصوصية العلم هي أنها تغمر الإنسان بهذه النعمة الكبيرة، تغمر الخشية الإلهية قلب الإنسان بظلالها. هذا ما يجب أن نحصل عليه ونتحلى به. وأنتم الشباب تستطيعون هذا أسهل مني. حينما تصلون إلى مثل أعمارنا إذا كان المرء قد عمل عملاً في شبابه فسوف ينفعه عمله، وإلا كان الأمر صعباً عليه. أوجدوا الخشية في أنفسكم الآن. وفروا الخشوع أمام الله لأنفسكم اليوم. افتحوا باب التضرع إلى الله اليوم. ابدأوا النوافل وهي المقرّبة إلى الله من الآن. هذه أمور سوف تنفعكم. هذا العمر سينتهي بالتالي، البعض يبلغون الشيخوخة والبعض لا يبلغونها. واعلموا أن الفاصلة بين سن العشرين والثلاثين إلى السبعين وما بعد السبعين حيث هي أعمارنا فاصلة قليلة، تمرّ مرّ السحاب. يتصور المرء وهو في سن العشرين والثلاثين أن الفاصلة بينه وبين السبعين سنة كبيرة جداً. لا، إنها تمرّ مرّ السحاب، ثمّ يكون الذهاب. وإذا كان المقرّر أن نكسب شيئاً ونعمل عملاً ما ونتزود بزاد معين في هذه الفاصلة القصيرة وهذه الفرصة القليلة فيجب فعل ذلك خلال فترة الشباب. إنني أرى التوصية بالخشوع وذكر الله والتقوى والسعي للتقرب إلى الله أوجب بالنسبة للطلبة من التوصية بالعلم، واحتوى الأصلي لمهامهم هو العلم. إذا كان العلم ولم تكن التقوى لكان ذلك العلم عديم الفائدة وأحياناً مضراً. كان هناك علماء - سواء العلم الديني أو غير الديني - لم ينتفعوا من علمهم ولم ينفعوا به، وليس هذا وحسب بل كان علمهم وزراً ووبالاً. روح المعنوية أمر لازم في جسد العلم والعالم.

طيب، مدينة كرمانشاه مدينة مهمة. كما أشار سماحة السيد علما، فقد كان لكرمانشاه علماء كبار في الماضي البعيد، وخلال هذين القرنين أو القرنين والنصف الأخيرة ظهرت في هذه المدينة

عوائل علمية كبيرة، نظير عائلة آل آقا، وعائلة جليلي، وعوائل علمية غالباً ما يكون العلماء فيها أكثر من شخص وشخصين وعشرة أشخاص.. عوائل علمية باقية.

ونقطة أخرى تلفت انتباهي في هذا الباب حول كرمانشاه هي كما أن أهالي كرمانشاه يدارون الغرباء ويجسنون ضيافة الضيوف ويعاملون الوافدين بقلب رحيم ويد سخية، يبدو أن هذه الخصوصية أشد عندهم بالنسبة للعلماء الوافدين. جاء المرحوم محمد علي (رضوان الله عليه) نجل المرحوم الوحيد البهبهاني، وهو من أبرز تلامذة والده، جاء إلى كرمانشاه وبقي فيها. مع أنه لم يقصد كرمانشاه لكنه بقي فيها حيث أبقوه هنا وصار كبير عائلة آل آقا. وكان هو وعدد كبير من أبنائه وعائلته من العلماء. هذا نموذج.

والنموذج الآخر هو المرحوم السيد حسين الخائري الذي قدم إلى مشهد في آخر حياته. وكنا في ذلك الحين شباباً يافعين. وأتذكره إلى حد ما. إنه ابن أخ المرحوم السيد محمد إصفهاني المعروف، وتلميذ السيد محمد إصفهاني، وتلميذ الآخوند، وكان عالماً كبيراً جاء من العراق وسكن سنين طويلة في كرمانشاه. كان يجري الحدود في إصفهان. كان شخصية بارزة، وعالماً وصاحب شخصية معنوية وأخلاقية. ومن الناحية العلمية كان ممن تربوا أخلاقياً علي يد المرحوم الآخوند ملا فتح علي سلطان آبادي الذي كان حينذاك في سامراء.

الشخصية الأخرى هو المرحوم سردار كابلي.. شخصية علمية بارزة في مختلف الفنون. الكتاب الذي وضع عن حياته كتاب جد عميق وجيد. لقد اطلعت علي هذا الكتاب قبل سنين. بقي في كرمانشاه نحو ستين عاماً. وقد انتفع الأكابر منه. قرأت في ذلك الكتاب أن المرحوم الحاج حسين القمي (رضوان الله تعالى عليه) في سفره إلى العتبات المقدسة أو في طريق عودته من العتبات المقدسة نزل بكرمانشاه والتقي بالمرحوم سردار كابلي. ودار نقاش بين هذين الشخصين حول القبلة أو ما شابه، وذكر المرحوم سردار كابلي أموراً قال الحاج حسين له تعال وعلمي هذه الأمور. يكتب صاحب الكتاب إنني رأيت بنفسي جليستين - أظن أنه قال رأيت بنفسي، فقد قرأت هذا الكتاب قبل سنين - أن الحاج حسين القمي مرجع التقليد والشخصية العلمية البارزة كان يجلس أمام سردار كابلي ليعلمه ذلك المبحث العلمي. وهذا بجد ذاته درس وعبرة. المرحوم الحاج حسين يتعلم وهو في سن الثمانين وفي مرتبة المرجعية. هذا الشيء ليس بعار وعيب بالنسبة للعالم، وليس هذا وحسب بل هو فخر. نحن الطلبة يجب أن نتعلم هذه الأمور. أنتم

الشباب ينبغي أن تسيروا وتتقدموا إلى الأمام وفق هذه الأساليب. كان هذا الرجل كابلياً من أهل كابل، وقد نشأ في الهند، ثم كان في النجف، وجاء إلى هنا، واستقبلته كرمانشاه واحتضنته. وبقي المرحوم سردار كابلي - جامع الفنون وذو الفنون - ستين عاماً في كرمانشاه. والمرحوم الشهيد أشرفي إصفهاني أيضاً كان من العلماء المهاجرين إلى هذه المدينة. تتميز هذه المدينة بهذه الخصوصية أيضاً. وهي دليل على أن قلوب أهاليها محبة لعلماء الدين. حينما يجدون شخصاً ويرون سماته ويستحسنونها ويفهمونها فإنهم بما لهم من نقاء وصفاء يستأنسون به إلى درجة لا يشعر معها أنه ليس في بلده. وقد كان المرحوم أشرفي من إصفهان، لكنه كان يعتبر نفسه وكأنه من كرمانشاه. أصبح كرمانشاهياً. طيب هذه أمور في إطار المقدمة، وأريد ذكر عدة نقاط.

من النقاط يا أعزائي وأيها العلماء المحترمون والفضلاء الأعزاء، هي أن الطلبة الشباب هم آمال المستقبل. اعلّموا أن واجبات رجال الدين اليوم مضاعفة. إذا كان رجال الدين يحملون علي عاتقهم أعباء دائمة هي أعباء التفهيم والتبيين والإبلاغ «الذين يبلغون رسالات الله» فإن هذه الأعباء اليوم مضاعفة. لماذا؟ لسببين: الأول هو توفر فرصة للتبليغ للإسلام في العالم سواء العالم الإسلامي أو العالم غير الإسلامي. وسوف نتحدث عن هذا الجانب باختصار. والسبب الثاني هو ما سببته هذه الفرصة من هجمات متزايدة على الإسلام خوفاً من الإسلام. إذن، يتضاعف الواجب. حينما تتوفر الفرصة يتضاعف الواجب. وحينما تتسبب هذه الفرصة في هجمات الأعداء وتشديد عدائهم فإن الواجب يتضاعف أيضاً. وحالكم اليوم مثل هذا الحال. ويجب أن لا تخافوا.. «ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله». لا تخشوا أي شيء.. لا تخشوا صعوبات الطريق. لا أن تتصوروا أنه لا توجد صعاب في هذا الطريق، بلي، ثمة صعاب، ولكن لا تخشوا هذه الصعاب.

هَبّوا إلى الأعمال والمهام الصعبة العسيرة. أنجزوا الأعمال العسيرة. أو لم يحدث هذا في إيران؟ حدث في إيران شيء لو اجتمع كل محلي العالم ساعات وأياماً وليالٍ لما وصلوا إلا لنتيجة واحدة هي أن وقوع هذا الأمر محال. فما هو هذا الشيء؟ هو أن هذا البلد الذي كان تابعا للغرب من الناحية الثقافية، وكان من الناحية السياسية في قبضة اقتدار الغرب، ومن الناحية الاقتصادية كان ألعوبة بيد الغرب، وكان رؤساء البلد يعتبرون أنفسهم مضطرين لإطاعة أوامر أمريكا - وطبعاً فإن أجهزة محمد رضا بهلوي وغيره بالإضافة إلى أنهم كانوا مرغمين على الطاعة فقد كانوا غير

مرتاحين لذلك، لكنهم كانوا كالخادم غير المرتاح لأوامر سيده.. أجل، كانوا مترعجين وغير مرتاحين لكنهم يجب أن ينفذوا على الرغم من أنوفهم - بلد هذه ثقافته وتلك سياسته وذلك اقتصاده وأولئك مسؤولوه وكل شيء يسير باتجاه التبعية للغرب والابتعاد عن الإسلام، فجأة تتغير فيه الأمور مائة وثمانين درجة، ويأتي نظام ينظر للغرب بسوء ظن وأحياناً بعين العداوة، ويوجه المسيرة باتجاه الإسلام وتطبيق الإسلام. أي تشكيل نظام الجمهورية الإسلامية. أي محلل كان سيقول إن هذا الشيء مستحيل وغير ممكن. لكنه حصل.. هذا المستحيل حصل.

وأقولها لكم إنه حتى بعض المناضلين منا كانوا يقولون إن هذا الشيء غير ممكن. قال المرحوم السيد الطالقاني إن الإمام الخميني يقول «الشاه يجب أن يذهب»، وواضح أن الشاه لا يمكن أن يذهب. لم يكن يصدق أن الشاه يمكن أن يذهب. قال لي المرحوم الطالقاني نفسه إن كلام هذا الرجل عجيب، الأشياء غير الممكنة يقولها وتحقق، ومنها ذهاب الشاه وسقوطه. قال هذا لاحقاً. قال الإمام الخميني إن الشاه سيسقط فلم يصدق أحد ذلك، لكنه سقط وذهب. ولم يذهب الشاه فقط، بل ذهبت أمريكا والغرب والاستعمار والاستكبار. لم يكن أحد يصدق، لكنه حصل.

لم يكن أحد يصدق أن أكبر ثورات الزمن الحاضر في البلدان الإسلامية ستحدث في مصر. مصر كامب ديفيد، مصر حسني مبارك. ربما كانت البلدان الأخرى محتملة، لكن أحداً لم يكن يحتمل أن يحدث هذا في مصر. بيد أن الثورة وقعت في مصر. هذا هو الشيء الذي يجب أن نتذكره دوماً.

اقتحموا الأمور غير الممكنة لتصبح ممكنة. قررنا تحمل الأعباء الثقيلة لتستطيعوا حملها. «ولا يخشون أحداً إلا الله». طيب، وماذا عن الجهود اللازمة لذلك، والآلام والحن في ذلك، والحرمان الناجم عن ذلك؟ الجواب هو «وكفي بالله حسيباً». لا تنس الله وسوف يسجل الله لك ذلك في حسابك. آلامك وحرمانك وكفك نفسك والهموم والألم الروحي والجهود التي تبذلها والأعمال التي تقوم بها والغصص التي تتجرعها وكظم الغيظ والصبر والتحمل، هذه أحوال لن تنسي أبداً.. «وكفي بالله حسيباً».

هذا هو سبيلنا. هناك يوصوننا - كعلماء - بالخشوع. هناك يوصون بـ «يبلغون رسالات الله». حسناً، رسالات الله هي بالتالي رسالات أنبياء الله. يقول الله تعالى: «وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون». (6) هذا هو الحال المحيط بالنبي والمواقف والاصطفافات التي تحيط به. «عدواً شياطين الأنس والجن».. تهاجمه شياطين الجن والإنس. وإذا تقرر لنا ولكم أن نبلغ رسالات الله فيجب أن نتوقع شياطين الإنس والجن تهاجمنا، وعلينا الاستعداد لهم. يجب من الناحية الروحية أن نشيد في داخل أنفسنا سوراً منيعاً هو سور الإيمان والتوكل، حتى لا نغلب ولا ننهزم من الداخل. الفرار والهزيمة الخارجية ناجمة عن الفرار والهزيمة الداخلية. هزيمة داخل الإنسان هي التي تسبب له الهزيمة الخارجية وتفرضها عليه. إذا لم تهرم في قلبك فلن يستطيع أحد أن يهزمك. السور الذي يجب أن يقوم في قلوبكم هو سور الإيمان بالله والتوكل عليه. «وعلى الله فليتوكل المؤمنون» (7)، و«وعلى الله فليتوكل المتوكلون» (8)، و«ومن يتوكل على الله فهو حسبه» (9)، و«أليس الله بكاف عبده» (10).. هذه هي الدروس التي يجب أن نتعلمها. لنقرأ القرآن بتأمل، ونتعلم هذه الأمور كدروس فهي تعاليم حياتنا. هذا نوع من الاستعداد.

واستعداد آخر هو الاستعداد الخارجي. هذا الشيطان الذي يشن هجماته لا يهجم هكذا دائماً. شيطان العصر الذي يأتيكم عن طريق الانترنت والفضائيات وأساليب الاتصال الحديثة وفوق الحديثة، لديه كلام حديث. حدّث صلاته، وحدّث رفاقه وبرمجياته أيضاً. لديه رقائق حديثة أيضاً. يصنع الشبهات، ويخلّ في العقائد، ويشوش الأذهان، ويحقن اليأس والقنوط، ويزرع الخلافات. دولارات النفط الآن تنفق في مواضع، وأنا على علم واطلاع بذلك، وتقارير ذلك لا تنشر غالباً. يبذلون الأموال في بعض البلدان الإسلامية كرمال الصحراء من أجل أن يصنعوا بين السنة تجمعات معادية للشيعة. هذا من جانب وفي الجانب المقابل يقولون لمتحدث شيعي في الظاهر بأن يظهر على التلفاز ويوجّه التهم باسم الشيعة لأمّ المؤمنين عائشة ويقذفها ويهينها. هذه هي أساليبهم. فماذا تفعلون مقابل هذه الأساليب؟ ماذا تفعل أيها السني؟ وماذا تفعل أيها الشيعي؟ يجب أن لا ننخدع بأعمالهم وأساليبهم، فهذه هي أعظم وأوفر نعمة بالنسبة لهم.

وأذكر هاهنا نقطة معينة.. محافظتكم فيها الشيعة والسنة. ليعقد علماء الشيعة والسنة جلسات واجتماعات ليتفاهموا ويتحاوروا. لدينا أعمال ومهام مشتركة. لا بأس، اشرح وأوضح أنت

فقهك ودرّسه، وشرح أنت أيضاً فقهك ودرّسه. درّس أنت الفقه الجعفري ودرّس أنت الفقه الشافعي. لتكن لكم عقائدكم، لكن بوسعكم أيضاً القيام بأعمال مشتركة. لا أقول للفقيه الشافعي أو المقلد الشافعي إنه لا بد لك أن تصير جعفرياً وشيعياً، لا، إذا أراد فيأمكنه أن يبحث ويحقق ويصير، إذا صار صار وإن لم يصير لم يصير.

إذا أراد أي شخص الحفاظ على مذهبه وأعماله وأن يبحث مذهبياً فلا إشكال في هذا أبداً - إنني أوافق النقاش والبحث المذهبي - إذا أحبوا أن يكون هناك نقاش علمي مذهبي بين العلماء وأصحاب الفن فليجتمعوا وليتناقشوا، ولكن لا أمام الناس، إنما في جلسات علمية.. يجتمعون ويبحثون ويتناقشون ويذكرون أدلتهم فيما أن يقتنع الطرف المقابل أو لا يقتنع، لا إشكال في ذلك. ولكن على الرغم من كل هذا هناك أمور مشتركة وهموم وآلام مشتركة لها علاجات مشتركة. للعالم الشيعي وللعالم السني نفوذهما بين جماهيرهما. ليستفيدوا من هذا النفوذ وليعالجوا هذه المشكلات المشتركة.

هناك في الوقت الراهن من سلاحهم التكفير، ولا يتحرّجون من أن يقولوا إننا تكفيريون.. هؤلاء سموم. ويجب إخراج هذه السموم من البيئة الإسلامية. واحد يكفر واحداً، وواحد يفسق واحداً. وهذا يتحدث في محاضرة أو على منبر بشيء يكون فيه تعريض لذاك، وذاك يتحدث بما فيه تعريض بهذا. وسيكون هذا ما يريده العدو. إذن، الواجب المضاعف الذي أتحدث عنه يشمل كل هذه الجوانب.. يبدأ من الواجب القلبي وتربية النفس وإيجاد الخشوع والخشية في القلب ويصل إلى هذه الأمور.

الواجب الآخر هو واجب التعليم. سمعت أن بعض الفضلاء المحليين الكرمانشاهيين موجودون في قم - ولا شك أن السادة يعرفونهم - يجب تشجيع هؤلاء، فيما أن يهاجروا، أو إذا لم يهاجروا نهائياً فليأتوا في أيام معينة.. ليأتوا إلى هنا شهرين في السنة أو ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر.. ولينتشروا بين الناس، وفي القرى والأرياف، وفي المدن، وليعمروا المساجد. إذن، قضية العلم قضية مهمة.

طبعاً ثمة إلى جانب قضية اكتساب العلم قضية التبليغ وهي قضية مهمة جداً. للتبليغ قصة طويلة. إذا أردتم أن يكون لكم تبليغكم الجيد فعليكم اختيار مخاطبيكم مسبقاً. تريد التحدث مع الشباب، لا بأس، إذا اخترتم مخاطبيكم وهم الشباب فيجب أن تعلموا ما هي أسئلتهم.

كان هناك طالب علم يحضر درسنا في مشهد. ثم غاب عن الدرس لمدة معينة. لم أعد أراه في الدرس. ورأته بعد مدة فسألته أين كنت؟ قال في المكان الفلاني - من مدن محافظة خراسان البعيدة - أعمل في التبليغ. فقلت له: حسناً، والنتيجة؟ فقال النتيجة التي توصلت لها هي أنني لم أتعلم أي شيء لأجل هؤلاء الناس. قال إن كل ما أعرفه لا ينفع هؤلاء! هذه هي عدم معرفة المخاطبين والمتلقين. يجب معرفة المتلقي.. هل هو قروي أم مديني أم متعلم..؟

كم لنا في الوقت الحاضر من الشباب الدارس المتعلم. في كرمانشاه هذه عدد الدارسين والمتعلمين كبير جداً. ذات يوم لم يكن الأمر كذلك. قبل الثورة كان في كل محافظة كرمانشاه ربما ثلاثمائة خريج جامعي. واليوم فإن عدد الدارسين عشرة أضعاف أو ربما عشرات الأضعاف. هؤلاء شباب ومعرضون للأمواج الدعائية والخطابات المختلفة، وتعنّ لهم أسئلة، فعليكم أن تعرفوا أسئلتهم وتعدّوا لها الإجابات، ثم تذهبوا وتتبوأوا مقاعد الإجابة وتختاروا مخاطبيكم وتعرفوا علي أفكارهم وتزودوهم بالأفكار المستقاة من الكتاب والسنة وكلمات العظماء بما يتناسب وأفكارهم واحتياجاتهم. قال السيد ممدوحى، وقوله صواب، إنه يجب أن يبادر أناس لعرض كتب المرحوم مطهري وكتاب الميزان الشريف بما يتناسب مع احتياجات الشباب وأسئلتهم. وهذا عمل يجب أن ينجز في قم، وأنتم في قم. خطابنا لقم خطاب دائمى. على قم أن تنجز هذه الأعمال.. لا تتوانوا عن هذه الأعمال والمشاريع فهي لازمة.

فكروا بالتربية بقدر ما تفكرون بالتعليم أو ربما أكثر. باستثناء موضع واحد في القرآن الكريم قدّم التعليم على التزكية، تقدمت التزكية على التعليم دوماً. «يزكّهم ويعلمهم الكتاب والحكمة» (11). وهذا مؤشر على أن للتزكية مكانة أرفع وأعلى. زكوا مخاطبيكم وربّوهم. وهذه التربية هي كما ذكرنا صعبة.. «من نصّب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره». ينبغي القيام بهذا العمل الصعب.

حاولوا التأثير في الطبقات العميقة لأذهان مخاطبيكم، لا تكتفوا باجتذاب مشاعرهم وعواطفهم، لا، حاولوا التأثير في الطبقات العميقة لأذهانهم كي لا تزول جهودكم بالأحداث المختلفة.

ولعلماء الدين واجبات اجتماعية أيضاً. يجب على علماء الدين الخوض في القضايا الاجتماعية، بيد أن النقطة الأساسية هي أن دخول رجل الدين في القضايا الاجتماعية يجب أن يكون دخولاً روحياً نورانياً لا دخولاً متعنتاً متشدداً، فإذا كان متعنتاً متشدداً فلا فائدة فيه. سمة عالم الدين هي أن يعمل على التوعية بطريقة روحية، وبالأخلاق والنصيحة، وعرض السبل والحلول، وتشويق الناس وتوعيتهم وإقناعهم بالعمل. أما إذا كان الأمر بالتشدد والتعنت والتحكم فلا فائدة فيه. يجب على عالم الدين أن يعمل كروحاني معنوي. طبعاً إذا أصبح أحدكم رئيساً للجمهورية فله في مقام رئاسة الجمهورية واجب آخر، وله في مقام القاضي واجب آخر. لكنه في مقام عالم الدين يجب عليه أن يتحدث للناس بلسان الروح والمعنوية ولسان الأنبياء، بعيداً عن التزمّت والأساليب السياسية.

الصلاة هي كل شيء. الشخص الذي تنقطع كل علاقاته وصلاته إذا استطاع الحفاظ على صلة الصلاة فسوف تنقذه هذه الصلة. الصلاة مهمة للغاية. رغبوا مخاطبيكم في الصلاة، وسهلوا سبل مشاركتهم في صلوات الجماعة. مؤتمر الصلاة الذي يقام كل عام، ولا أدري هل أقيم لحد الآن في كرمانشاه أم لا، ولكن أقيموه هنا، فإنه يمنح الصلاة رونقاً وجلاء.

المبلغون الشيعة والسنة يجب أن لا يؤذوا بعضهم. تواكبوا وترافقوا وتعاطفوا. وفي المواطن الخاصة بكل فئة ليعمل السني بعمله وليعمل الشيعي بعمله. وثمة مواطن مشتركة يمكنكم أن تعملوا فيها بالاشترائك. إذا حصل هذا فسوف يتقدم رجال الدين إن شاء الله.

أقولها لكم إن الثورة الإسلامية عندما انتصرت اكتسب الإسلام رونقاً جديداً. فكر الكثيرون في العالم بهذا الذي حدث ما هو؟ ما هو هذا الحرك القوي الذي استطاع أن يخلق مثل هذا الحدث الهائل الذي زلزل الغرب؟ انتصار الثورة الإسلامية وعظمة الإمام الخميني زلزلت الغرب ونظام الهيمنة. فكر الكثيرون في أن يقتربوا ويروا ما هذا الذي حدث، فراجعوا القرآن الكريم واكتسبوا معارف وحقائق عن الإسلام، وبذا تشوقوا للإسلام ومالوا إليه. في تلك الفترة حدثت موجة من التوجّه نحو الإسلام وقد استمرت هذه الموجة.

وكانت الموجة الثانية عندما اُتُمار النظام الماركسي. حتى في البلدان الإسلامية كان هناك الكثير من الشباب والناس المخلصين الذين عقدوا آمالهم علي النظام الماركسي، وتصوروا أن تأسيس دولة اشتراكية كفيل بإزالة الفقر واللاعدالة وكذا وكذا في بلدانهم. وبعضهم كانوا أناساً صادقين حقاً. شاهدت بعضهم سواء من المسلمين أو غير المسلمين.. كانوا أناساً صادقين لكنهم لا يعتقدون بالإسلام، إنما كانوا ماركسيين لأنهم تصوروا أن في الماركسية أمل للناس. ثم عندما اُتُمارت الماركسية وجدوا أن لا فائدة في الأمر، لذلك مالوا نحو الإسلام.

كل هؤلاء الجماعات الشابة التي رأيتموهم يرفعون شعارات الإسلام في مصر وتونس وليبيا واليمن والأماكن الأخرى، كانوا في عقدي الستينات والسبعينات الميلادية - أي نحو أربعين أو ثلاثين عاماً قبل الآن - يرفعون شعارات يسارية وشيوعية. وإذا تحدثت متحدث عن الإسلام فكان يطعمه بالكلام الماركسي. وحتى في بلادنا كانت هناك حالات من هذا القبيل، ولا أريد ذكر الأسماء. لكن كان هناك من يتحدثون باسم الإسلام ويخلطون كلامهم الإسلامي بأفكار ماركسية كانت تشاع وتروج في ذلك الحين. وقد ترك هذا تأثيره في بعض المواطنين. وبعد انهيار الماركسية عادت كل هذه الجماعات اليانسة من الماركسية إلى الإسلام ونظرت إلى الإسلام وإلى القرآن الكريم وإلى أحكام الإسلام وإلى الجمهورية الإسلامية فوجدوا العجب، وجدوا نظاماً قام على أساس الإسلام ويرفع كل الشعارات الحديثة التقدمية، وكل القوى الظالمة والجاثرة ومصاصي دماء الشعوب تحاربه، وهو واقف كالجبل الأشم لا يتزلزل. تعجبوا وقالوا لنرى ما هذا النموذج. وجدوا أن ما كانوا يطمحون إليه ويبحثون عنه في الماركسية ولم يستطيعوا أن يجدوه هناك، ثم اُتُمار وفشل تماماً، موجود في الإسلام. هذه أيضاً محطة من الزمن حصلت فيها ميول نحو الإسلام. والمحطة الأخرى جاءت في فترتنا الراهنة هذه، حيث يأس الناس من الليبرالية الغربية والليبرالية الديمقراطية الغربية والاقتصاد الرأسمالي. فهل ترون ما يحدث؟

يريدون تصغير هذه القضية في إعلامهم والتقليل من أهميتها. لكن واقع القضية لا يصغر. في المركز المالي لأمريكا وفي العاصمة الاقتصادية الأمريكية أي نيويورك، وفي شارع «وال استريت» وهو القطب الرئيس للرأسمالية في العالم يجتمع الآلاف ويقولون إننا لا نريد الرأسمالية. هؤلاء ليسوا مهاجرين، ولا كلهم من السود، ولا من الطبقات الدنيا في المجتمع، فبينهم أساتذة جامعات وسياسيون وجماعات طلابية. يقولون إننا لا نريد النظام الرأسمالي. وهذا هو ما نقوله نحن أيضاً.

نحن أيضاً قلنا منذ البداية «لا شرقية ولا غربية»، أي لا للنظام الرأسمالي ولا للنظام الاشتراكي. ذلك عن الاشتراكية التي ذهبت إلى جهنم، وهذه أيضاً تنجرف رويداً رويداً. وبعد هذا الحدث سيزداد الإقبال على الإسلام. هذه أيضاً موجة أخرى.. هي الموجة الثالثة.

عليكم أن تكونوا مستعدين. علماء الدين المسلمين يجب أن يكونوا مستعدين جاهزين. يجب استبعاد الكلام المهشّ الضعيف، وطرح المعارف الإسلامية المنطقية المتينة المتجذرة المستمدة من الكتاب والسنة ومن كلمات الأئمة المعصومين (عليهم السلام).. والأسس العقلية القويمة والمقبولة عقلياً والمناسبة مع احتياجات الإنسان والمجتمع البشري، وسترون أن أمواج التزوع للإسلام ستتصاعد.

طيب، كلامنا معكم كثير، وهذه الجلسة جد طيبة ومحبة بالنسبة لي كما ذكرت، ولكن يجب مراعاة الوقت علي كل حال.

ربنا اجعلنا من علماء الدين كما تحبّ وترضى. ربنا وفق شبابنا الأعزاء، هؤلاء والطلبة الشباب وبراعم جنان العلوم الدينية أين ما كانوا في كرمانشاه وغير كرمانشاه ليكونوا من العلماء العاملين. أنزل فضلك ورحمتك وهدايتك علينا جميعاً. ارض عنا القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر (أرواحنا فداه).

والسلام عليكم ورحمة الله.

1 - سورة الأحزاب، الآية. 39

2 - سورة آل عمران، الآية. 185

3 - سورة التوبة، الآية. 111

4 - نهج البلاغة، الكلمات القصار، 73

5 - سورة فاطر، الآية 28 .

- 6 - سورة الأنعام، الآية. 112
- 7 - سورة آل عمران، الآية. 122
- 8 - سورة إبراهيم، الآية. 12
- 9 - سورة الطلاق، الآية. 3
- 10 - سورة الزمر، الآية. 36
- 11 - سورة آل عمران، الآية 164.